

القيمة التربوية لمحاسبة النفس



في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أليس الكيِّسين»، والكيِّس هو العاقل، أي أعقل العقلاء «وعمل لما بعد الموت»، باعتبار أن ما بعد الموت هو الذي يمثل المصير الدائم الخالد: إمّا إلى جنة وإمّا إلى نارٍ، «وأحمق الحمقى»، والأحمق هو الذي لا يتحرك على أساس التوازن العقلي، «مَن أتبع نفسه هواه وتمنى على الله الأمان»، يتمنّى بأن يدخله الجنة، من دون أن يؤكد ذلك بالعمل الصالح.

وفي حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، ومعناه أنّه لا بدّ للإنسان من أن يجلس مع نفسه، كما لو أنّ نفسه هي إنسان آخر يحاسبه في ما عمل كلّ يوم، في حياته الخاصة والعامة، «وزنوها قبل أن توزنوا»، في حساب يوم القيامة. والميزان هو ميزان الأعمال، وهو الذي يؤدّي بالإنسان إلى مصيره سلباً أو إيجاباً عند العرض الأكبر على الله سبحانه وتعالى. ويقول الإمام عليّ (عليه السلام): «حاسبوا أنفسكم بأعمالها، وطالبوها بأداء المفروض عليها» مما أوجبه الله «والأخذ من فنائها لبقائها» يعني الأخذ من الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية «وتزودوا وتأهّبوا قبل أن تبعثوا» حتى يبعث الإنسان وقد حزم أمره، وركّز أوضاعه، ليقرأ كتابه بشكل واثق،

واﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻳﻘﻮﻝ: (ﺍﻗﺮﺁ ﻛﺘﺎﺏﻚ ﻛﻔﻰ ﺑﻨﺪﻓﺴﻚ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﻋﻼﻳﻚ ﺣﺴﻴﺒﺎً) (ﺍﻟﺴﺮﺍﺀ/ 14). ﻭﻓﻰ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻋﻦ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﺍﻟﺮﻭﺍﺏ (ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ) ﺃﻳﺸﺎً: «ﺣﺎﺳﺐ ﻧﻔﺴﻚ ﻟﻨﻔﺴﻚ، ﻓﻴﻦ ﻏﻴﺮﻫﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻧﻔﺲ ﻟﻬﺎ ﺣﺴﻴﺐ ﻏﻴﺮﻙ». ﻳﻘﻮﻝ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ (ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ)، ﻳﻦ ﻛﺘﻴﺮﺍً ﻣﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻳﺸﻐﻠﻮﻥ ﺍﻧﻔﺴﻬﻢ ﺑﺤﺴﺎﺏ ﻏﻴﺮﻫﻢ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻗﺎﻣﻮﺍ ﺑﻪ ﻭﻣﺎ ﻋﻤﻠﻮﻫ، ﻭﻟﻜﻨﻚ ﻟﺴﺖ ﻣﺴﺆﻭﻻً ﻋﻦ ﺣﺴﺎﺏﺎﺕ ﻏﻴﺮﻙ ﻓﻴﻤﺎ ﻋﻤﻠﻬ؛ ﻻﻥ ﻏﻴﺮﻙ ﺳﻮﻑ ﻳﻘﻒ ﻏﺪﺍً ﻟﻠﺤﺴﺎﺏ، ﻭﻳﺘﺤﻤﻞ ﻣﺴﺆﻭﻟﻴﺔ ﻛﻞ ﺃﻋﻤﺎﻟﻬ، ﻭﺍﻣﺎ ﺃﻧﺖ، ﻓﻴﻦﻛ ﺗﻮﺍﺟﻪ ﺣﺴﺎﺏ ﻧﻔﺴﻚ ﻟﻨﻔﺴﻚ.

ﻭﻫﻜﺬﺍ ﻧﺠﺪ ﺍﻟﻘﻴﻤﺔ ﺍﻟﺘﺮﺑﻮﻳﺔ ﻟﻤﺴﺌﻠﺔ ﺩﺭﺍﺳﺔ ﺍﻟﻨﺘﺎﺋﺞ ﺍﻟﺴﻠﺒﻴﺔ ﺍﻭ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﻟﻠﻜﻞ ﻣﺎ ﻳﻘﺒﻞ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ، ﻭﻣﺎ ﻗﺎﻡ ﺑﻪ ﻣﻦ ﻣﺴﺆﻭﻟﻴﺎﺕ، ﺃﻛﻤﻠﻬﺎ ﺍﻭ ﻗﺼﺮ ﻓﻴﻬﺎ، ﺣﺘﻰ ﻳﻜﺘﺸﻒ ﻣﻦ ﺧﻼﻝ ﺫﻟﻚ ﻧﻘﺎﻁ ﺍﻟﺰﻭﻉ ﻭﻧﻘﺎﻁ ﺍﻟﻘﻮﺓ ﻋﻨﺪﻫ؛ ﻻﻥ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﺍﻟﻨﻔﺴﻴﺔ ﻭﺍﻟﻌﻘﻠﻴﺔ ﻭﺍﻟﺮﻭﺣﻴﺔ ﻭﺍﻟﻌﻤﻠﻴﺔ ﻛﺎﻟﺒﻮﺭﻩ ﺍﻟﺠﺴﺪﻳﺔ، ﻓﻴﻦ ﺍﺳﺘﻄﺎﻉ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﺍﻥ ﻳﻜﺘﺸﻒ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﻓﻰ ﺑﺪﺍﻳﺘﻬ، ﻓﻴﻦﻫ ﻳﺼﺒﺢ ﻟﺪﻳﻪ ﺍﻟﻘﺪﺭﺓ ﻋﻠﻰ ﻣﻌﺎﻟﺠﺘﻬ ﺑﺸﻜﻞ ﺍﺳﻬﻞ ﻣﻤﺎ ﻟﻮ ﺍﻛﺘﺸﻔﻬ ﺑﻌﺪ ﺍﻥ ﻳﺘﻌﻤﻖ ﻓﻰ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﺍﻭ ﻓﻰ ﺍﻟﺠﺴﺪ، ﻻﻧﻬ ﻣﻦ ﺍﻟﺰﻭﻉ ﺍﻥ ﻳﻌﺎﻟﺠﻬ ﺑﺎﻟﻄﺮﻳﻘﺔ ﺍﻟﺘﻰ ﻳﻤﻜﻦ ﺍﻥ ﻳﺤﺼﻞ ﻣﻦ ﺧﻼﻟﻬﺎ ﺍﻟﻌﺎﻓﻴﺔ ﺍﻭ ﺍﻟﺸﻔﺎﺀ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ. ﻭﻟﺬﻟﻚ ﺍﻭﻟﻰ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﺍﻟﻌﻤﻠﻴﺔ ﺍﻟﺤﺎﺳﺒﻴﺔ ﻭﺍﻟﺪﺭﺍﺳﺔ ﺍﻟﻨﻔﺴﻴﺔ ﺍﻫﺘﻤﺎﻣﺎً ﺑﺎﻟﻐﺎً، ﻟﻜﻰ ﻳﺴﺘﻄﻴﻊ ﺍﻟﺒﻮﺭﻩ ﻣﻌﻬﺎ ﺍﻥ ﻳﻜﺘﺸﻒ ﻧﻘﺎﻁ ﺍﻟﺰﻭﻉ ﻟﻴﺤﻮﻟﻬﺎ ﺍﻟﻰ ﻧﻘﺎﻁ ﻗﻮﺓ.